حاجتنا إلى الوعى الصوفى

للأستاذ محمد رشاد عطيه

أمتنا العربية التى حملت مشعل الحضارة ، وأنارت به طريق الأنسانية لعدة قرون ، وبددت به ظلام العصور الوسطى فى أوربا حتى أشرق عصر النهضة ، وقامت الحضارة الأوربية التى بدأت الآن تقود الإنسانيه إلى حرب ذرية بشعة ، مغلفة العالم بظلام حالك وضباب كثيف ؛ إنبثق منها نور الأمل متجسدا فى زعيمنا جمال الذى قرع الأجراس ، وأيقظنا من سباتنا العميق ، وفى حكمة سقراط وجه الأنظار إلى الإنسان ، وبفضله أضحت القومية العربية التى عمل على تجليتها وتقويتها حقيقة ملموسة من حقائق القرن العشرين ، وأصبحنا نتأهب الآن لقيادة البشريه من جديد .

ولهذا يجب أن نأخذ العبرة ممن سبقونا ، ونعمل أولا على تدعيم أسس الحضارة فى النفوس ، حتى تكون راسخة لا تتزعزع بالتيارات المضاده ، وهذا لن يأتى إلا بمساعدة أفراد أمتنا على الفهم الواعى المستنير للمبادىء الروحية فى الإسلام التى تتمثل بلا شك فى تراثنا الصوفى الإسلامى قلباً وقالباً .

وهذه المهمة شاقة وصعبة، وتحتاج لجهود مضنية ، ويقظة سريعة وتكتيل إيجابى ، فوسائل نشر تلك المبادىء إلى الآن قاصرة على صفوة الطبقة المثقفة ، بعيدة عن الجماهير ، وإحصائيات التوزيع للمجلات الدينية تدلنا على هذه الحقيقة ، ومنبر المسجد الذى هو الوسيلة إلى هذا والذى يجب أن يكون رائداً فى هذا المضمار تحول على أيدى معظم أئمة المساجد إلى وظيفة روتينية ليس فيه نبضات الإسلام القوية المتجددة .

وإننا حينما ندعو إلى نشر الوعى الصوفى ، لا نطالب بالعزلة والسلبية ، والتواكل ، ونبذ الحياة ، كما يتبادر إلى أذهان الكثيرين ، ولكننا ندعو إلى إيصال ثمرة التجارب الصوفية الأصيلة من مثل أخلاقية قويمة وحياة حرة نظيفة كريمة إلى النفوس حتى

تكون مصباحاً ينيرها .

إننا نريد أن يكون قول سهل بن عبد الله التسترى .

الله معى — الله ناظر إلى — الله شاهد على — فى قلب ونصب عين كل مسئول كبيراً كان أو صغيراً فى الدولة حتى يقوم بمهماته على أكمل وجه ، وتختفى المحسوبية والرشـــوة واستغلال النفوذ التى مازلنا نعانى منها إلى الآن . . . وفى نفس كل تاجر حتى لايغش ويمتنع عن الكسب الحرام الفاحش . . . وأمام كل فرد حتى يعمل ونفسه صافية نقية من الأنانية والحقد متحررة من القيود وأسر الشهوات التى تقوده إلى الزلل الدائم .

ونحن لا ندعو بهذا أن يتحول كل أفراد الأمة إلى متصوفه على غرار الجنيد والبسطامى والشبلى ، فهذا بداهة مستحيل إستحالة تحول كل الناس إلى أدباء أو فلاسفة أو فنانين أو علماء ، بل نحببهم فقط إلى تذوق التصوف ، .

فهناك فقط فئة قليلة هى التى تصل بعد سفر طويل فى طريق المقامات والأحوال إلى درجة المتصوف ، وهى تحترق كالشموع لتنير الطريق للآخرين

والتصوف الذى ندعو إليه ونريد نشره ليس فى الإشارات والرسوم والتقاليد ، ولـــكنه شعلة متقدة فى القلب والروح ، وقد عبر عن هذا الجنيد البغدادى فى قوله .

إن تصفية القلوب حتى لايعاودها ضعفها الذاتى ومفارقة أخلاق الطبيعه وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة نزوات النفس ومنازلة الصفـــات الروحية ، والتعلق بعلوم الحقيقة وأتباع النبى صلى الله عليه وســـلم فى الشريعة .

وعلى تلك الدعائم وبهذا المعنى نحن محتاجون إلى بث المبادىء الروحية الإسلامية فى النفوس ، فهى لا زمة لنا لزوم التنفس لبلوغ أهدافنا القومية الإنسانية .

وليس أدل على أهمية الوعى الصوفى من قول أكبر عقلية علمية ظهرت فى القرن العشرين العلامة الراحل البرت أنشتين :

« إن الإنسان الذى لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم ولم يشعر نحوه بالروعة ، هو حى حكمه حكم الميت .

محمد رشاد عطيه